في كل يوم تُشرق شمس الإسلام دائماً، وفي كل مكان من العالم والإسلام ما زال تياره يجتاح من المشرق إلى المغرب، والوجود الإسلامي في أوروبا بالذات أصبح ظاهرةً لا يمكن إنكارها، فكان ما كان من زحف الآلاف بل الملايين إلى الإسلام العظيم . ومن الأمور الملفتة للنظر أن كثيرات من سيدات وفتيات الغرب ابتعدن عن الكنيسة ولجأن إلى الإسلام ..والكل الآن يهتف من أعماقه: لا حل إلا بالإسلام، فالمستقبل له وهو المنقذ للبشرية من أزماتها ومشاكلها .

فبعد أن أدرك الغربيون إفلاس مبادئهم ونظمهم وعقائدهم وحضارتهم من الناحيتين الروحية والأخلاقية، أخذ كثير منهم يتجهون إلى الإسلام علهم يجدون فيه ما يسد فراغهم الروحي، ويقودهم إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار. ومن أسلم منهم وجد في الإسلام عقيدة التوحيد ، عقيدة تحترم العقل وذات خلق إنساني معتدل كريم ... عقيدة تهدف إلى التيسير وتتوخى المصلحة مصلحة الفرد والمجموع، عقيدة ذات روحانية تُلازم كل إنسان في يومه وغده، في ليله ونهاره ، في عمله وفي عبادته. وإذا كان الإسلام ينتشر الآن - لأنه الطريق الصحيح السليم، ولأن مبادئه فيها العدالة والمساواة، ونظامه فريد وشريعته غراء -فهذا أمر لا يمكن إنكاره . وإذا كان غير المسلمين يدخلون إلى الإسلام بحب وقناعة وشوق ولهفة، فهذا أمر محمود، وكان يجب أن يقابل هذا برحابة صدر وسماحة .

obeikandl.com

ولكن للأسف الشديد فإننا نجد في العالم الغربي -إزاء هذا المد الإسلامي- قلقاً وتخوفاً من قدرة الإسلام على الانتشار وزحف الناس إليه. ولذلك عمد هؤلاء الخائفون إلى مواجهة هذا التأثير الإسلامي، فرصدوا الأموال وجهزوا بعثات التنصير إلى المناطق الإسلامية مستغلين فقر المسلمين وجهلهم ومرضهم، فهم يقدمون إلى مناطقهم بإمكانيات ضخمة ؛ فيبنون المدارس والمستشفيات ودور الرعاية والملاجئ، ويقدمون الغذاء والكساء والدواء، ويتخذون العمل الاجتماعي ستاراً لنشاطهم، ويصدرون الصحف والكتب والمنشورات ويمتلكون المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي ينشرون من خلالها سمومهم وأباطيلهم .

وقاموا بعقد المؤتمرات لمتابعة ظاهرة الوجود الإسلامي في أكثر من بلد غربي، ولجؤوا إلى الإعلام بوسائله المختلفة لتناول الإسلام بدراسة منفرة غريبة .

وظهر الإستشراق كسلاح علمي وأدبي مخرب، حيث عمل المستشرقون بكل الوسائل المختلفة لتحقيق أهدافهم وأهداف دولهم، واستخدموا في ذلك تأليف الكتب، ونشر المقالات في المجلات والصحف والدوريات، وعقد المؤتمرات العلمية الدولية .وبذلت جهود كثيرة في الغرب لإبعاد الشعوب الأوروبية عن الإسلام، ولذلك اشترك المؤرخون والمترجمون والأدباء في موجات عنيفة جداً من السباب والشتم والتشويه والافتراء على الإسلام وتعاليمه ورسول الإسلام ورجالات الإسلام.

obeikandl.com

ففي السنوات القليلة الماضية صدرت آلاف الكتب تهاجم الدين الإسلامي، وجند المستشرقون ليكتبوا ضد الإسلام . وركز الغرب في الهجوم من ناحية المرأة ، لأن المرأة في أوروبا هي المسيطرة، ولاعتقاد الأوروبيين أن المرأة في الدول الإسلامية هي المسيطرة، فأرادت أن تتجه إليها، ولأن عدداً كبيراً من النساء المسلمات –**وللأسف** – يحاولن أن يُقلدن الغرب ويعتقدن أن ذلك بمثابة الحرية ..ومستغلين ما أصاب المرأة المسلمة من الظلم والهوان ، واستبداد الرجل الجاهل بدين الله وأحكامه ، ومغالاته وتعصبه الخاطئ باسم الدين، والدين منه براء . حيث أخطأ الكثيرون في فهم أوامر الدين، **ومن ذلك** : التعسف في استعمال حق القوامة.. وسلب حقوق المرأة التي قررها الشرع، سواءً في ذلك الحقوق المادية أو المعنوية .. والتهديد بالطلاق في كل وقت ودون أدنى مبرر.. واتخاذ البعض من إباحة الإسلام لتعدد الزوجات وسيلة لإشباع رغباتهم وشهواتهم، تاركين أمر العدل وراء ظهورهم ... والتفريق في التربية بين الذكر والأنثى، وتفضيله عليها في الرعاية والاهتمام والحرية....الخ من الأمور التي أسيء فهمها وتطبيقها .

ومما يؤسف له أن الإسلام يتلقى ضرباتٍ من أهله الذين لا يفهمون عظمته ولا يعرفون دقائقه، ويفتون بغير علم ، ويشوهون الحقائق أمام الناس، ويحشون دينهم بترهات ليست منه في شيء حتى جعلوا الطريق أمامهم سراباً .

فقد ظهرت في عالمنا الإسلامي **حركات التحرر والسفور** تُريد بها المرأة رفع ما وقع عليها من ظلم، سواء أكان ذلك حقيقة أم

obeikandl.com

شعوراً خاصاً بها . وتسعى لنيل ما حُرمت منه من حقوق. إما أن يكون الدين قد كفلها لها، وإما أن تكون حقوقاً رأت غيرها من النساء نالتها، أو تسعى لنيلها بصرف النظر عن مشروعيتها... وتبغي بحركتها المساواة مع الرجل، وفي كل ما يتمتع به من حقوق أو في أغلبها على حسب ما تراه هي ، لا ما يراه الدين أو تقضي به الشريعة .

إن الشعار الذي ترفعه المرأة في حركتها هو المساواة،ويدفعها إليها محاولة التملص من سجن البيت وأغلاله كما تتصور، والإفلات من سلطة الرجل وتَحَكُمَهُ.

وهنا لو وزنا أكثر الحركات بالميزان الدقيق ، لرأينا أن أكثر ما تهتم به المرأة من مطالبها بالمساواة هو غرض شخصي يمنحها الترف ، ويمد لها في الترفه، بدليل أن المرأة لا تُطالب بالمساواة مع الرجل فيما فيه تكليف عليها، فهي لا تعنى بالأمور الدينية، لأنها عازفة عنها ، أو تحاول التملص من قيودها، بثورة أفقدتها الصواب، فوصفت الدين بالرجعية، ووصفت المتمسكين بالمتزمتين المتربصين لحركات النهوض . فالدين في حكمة تشريعه يحد من حريتها ، وينظم تحركاتها في علاقتها الاجتماعية وهي لا تريد أبدا أن يُحد شيء من هذه الحرية، وهي لا تعلم أن هذا التنظيم هو لمصلحتها ولمصلحة الجنس البشري كله .

إنها لا تحارب سقوط المرأة وهويتها في المنزلقات الأخلاقية التي أضاعت شرفها ، وجعلتها سلعة رخيصة يلعب بها الهواة لأغراض دنيئة ؛ فما سمعنا أنها كونت جمعيات لمحاربة الرقص والسهرات الماجنة التي تُستغل فيها الأنوثة وإغراؤها. وكان البغاء العلني

والسري مُنتشراً ورسمياً، وما حركت واحدة منهن ساكناً لانتشال المرأة من هذا الوحل .

وهذا يُعطينا فكرة عن أن المقصود من أكثر هذه الحركات هو نيل الأغراض الشخصية ، قوامها الانطلاق من القيود، والتمتع بالحرية بأكبر قدر ممكن، بعيداً عن تعاليم الدين الإسلامي، وتزمت الرجعيين، لتبدو المرأة في المجتمع كالرجل، لا يفرق بينها وبينه حتى في الهيئة الخارجية من ملابس وزينة .

وحجة المرأة المسلمة بالمساواة بين الجنسين، تحاول أن تصبغها بالصبغة العقلية فلا يطاوعها العقل، وتحاول أن تلتمس سنداً من الدين، فعبثت بنصوصه تشرح وتؤول وفق هواها وهي في الحقيقة مقلدة للغرب لا مؤمنة بأن الإسلام يُؤيدها ويُنصفها .

وكان مما أثاره أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وغيرهم، أو من المنتسبين إلى الإسلام من العلمانيين الذين تلقوا ثقافتهم على فتات الموائد الغربية ، ثم عادوا إلينا بانبهار عجيب بمدنية الغرب ، أو حركات التحرر والسفور وغيرها حول امتهان الإسلام للمرأة وسلبها حقوقها:

- **أن الإسلام يُحّرم مشاركة المرأة في الولاية العامة والعمل العام ...ودليلهم** حديث رسول الله ﷺ ﴿ما أفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة﴾، وقضية عدم ولاية **المرأة للقضاء** : والتي يُثيرها البعض كشبهة على عدم اكتمال أهلية المرأة في الرؤية الإسلامية .

- **وأن الإسلام أهدر كرامة المرأة وإنسانيتها بأن جعل الضرب علاجاً لنشوز الزوجة ، ودليلهم** قوله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ

obeikandl.com

فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (١)

... ومن العجيب أنهم يطالبون بإلغاء مثل هذه الآيات القرآنية الخاصة بالمرأة.

فعلى سبيل المثال : كتب (**أموريان**) في جريدة التايمز الإنجليزية مقالاً يدعو للعجب والسخرية، فقال: «إنه يتعين على المسلمين أن يواكبوا ركب الحضارة والمدنية والتقدم، ولن يستطيعوا ذلك حتى يُطوروا قرآنهم، وذلك بأن يحذفوا منه الآيات التي تتحدث عن ملك اليمين، والآيات التي تتحدث عن تأديب الزوجة .. وعدد من الأمور ما هيأه له خياله السقيم، وفهمه العقيم، وعداؤه القديم » (٢).

- إن الإسلام جعل شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد . لقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (٣) .

- وأن الإسلام بخس المرأة حقها في الميراث وجعلها نصف حظ الرجل. لقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (٤)

(١) النساء : آية ٣٤ .
(٢) جريدة التايمز الإنجليزية – يوليو ١٩٩١ م .
(٣) البقرة : آية ٢٨٢.
(٤) النساء : آية ١١ .

وبمشيئة الله وفضله سوف نقوم بتقديم الشبه والمزاعم التي أثيرت عن امتهان الإسلام للمرأة وسلبها حقوقها، سواءً من أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين وغيرهم أو المنتسبين إلى الإسلام من العلمانيين ودعاة التحرر والسفور وغيرهم .

وما من شك في أن الإسلام يقتضينا أن نرد على كيد الكائدين، لا بالسباب والأباطيل كما يصنع أعداؤه، بل بالدروس والاحتكام إلى البحث العلمي، والتدليل المبين، والموازنات الكاشفة ... ولا شك أن الإسلام يقتضينا أيضاً أن نكشف عن بعض مزاياه ، ليستبين للجاهلين من أتباعه بعض ما في دينهم من سمو وحكمة وسماحة وصلاحية للتطبيق، ومرونة في مسايرة الزمن، فيشتد حرصهم على دينهم ويعظم اعتزازهم بتشريعه، ويتسلحوا بما يقضون به على ما يوجه إلى دينهم من أكاذيب وأباطيل .

.. **وعموماً** : تتلخص هذه الشبه والمزاعم التي أثيرت حول امتهان الإسلام للمرأة وسلبها حقوقها والرد عليها في الفصول الأربعة **التالية**:

* * *

obeikandl.com